# الرجل والنورس

تقف وحيدًا مع إطلالة الصباح كطائر مهاجر غريب، ببنطالك الأزرق وقميصك الرمادي، ولحيتك الكثة.

الأمواج تتلاطم من حولك بين مد وجزر، تتمشى على الشاطئ الطويل في تثاقل وإعياء، طيور النورس البيضاء تحلق في الجو، وهي ترتفع وتنخفض، مصدرة أصواتًا حزينة.

تحس بالإرهاق، تجلس على صخرة ناتئة في مواجهة البحر، ترنو ببصرك إلى ذلك الأفق البعيد، حيث تلتقي السماء الموج في سواد خفي، تشرد بذهنك وتتذكر كيف كنت في أوج شهرتك ومجدك.

الهاتف في منزلك كان لا يتوقف عن الرنين، ما أن ترفع السماعة حتى يهتف بك صوت أنثوي رقيق:

ـ أستاذي لقد أعجبتني قصتك الأخيرة في مجلة الشمس.

وآخر يبادرك بعد دقائق:

ـ لقد كان مقالك في مجلة الموعد جيدًا ويعالج قضية هامة.

ما أن تضع السماعة حتى يعاود الهاتف رنينه من جديد تصغي إلى المتحدث في اهتمام:

ـ أستاذ معك مجلة الشمس لا تنسَ أن ترسل لنا قصة العدد.

أجبته يومها:

ـ في الغد إن شاء الله.

أشعلت سيجارتك شرعت تنفث دخانها، تذكرت كيف دخلت عليك هي في تلك الليلة، قد سبقها عطرها الفواح، الذي كان له رائحة أخاذة، كانت ترتدي فستانها البنفسجي الجميل، شعرها ينسدل على ظهرها كأسلاك الذهب.

شرعت تتحسس شعر رأسك بأناملها الناعمة بادرتك:

ـ أنت هنا دائمًا بعيد عني.

ـ أتغارين علي حتى من الكتب؟

ـ لم لا أغار عليك ألسك زوجي ومن حقي أن يكون لي نصيب فيك.

ـ أنا لم أغمطك حقك يا عزيزتي.

ترنو ببصرك إلى أحد طيور النورس، يرصد تحركات الأسماك بدقة متناهية، ما يلبث أن ينقض على إحداها كالسهم، وما إن يرتفع بها قليلًا حتى تسقط منه في البحر، ترجع بذهنك إلى ذلك المشهد الذي لا يكاد يغيب عنك لحظة واحدة كأنه كابوس ثقيل.

تتذكر يومها كيف أطفأت محرك سيارتك أمام المدرسة الغارقة في هالة من الصمت، وقد انتصف النهار، نظرت في ساعتك كنت قد تأخرت كثيرًا عن موعدك المحدد ...

لا شك أنها قد عادت إلى البيت، مشيًا على قدميها فقد تأخرت، تقطع خطوات إلى داخل المدرسة، حتى التلاميذ جميعهم قد عادوا إلى بيوتهم.

ما أن اقتربت من باب المدير، حتى أحسست أن قدميك غير قادرتين على حملك، تسمرت في مكانك والعرق يتفصد منك!!!

ـ أأنت في حلم مزعج أم ماذا؟

كأنك غير مصدق ما يقع أمامك، ما أن لمحك المدير حتى انفض عن زوجتك التي كانت بين يديه في مشهد غرامي مؤثر، وقفز مهرولًا نحو الخارج.

في حين انتصبت هي واقفة مشدوهة كقطة مذعورة، منكوشة الشعر وشهقت دفعة واحدة:

ـ أحمد .. أحمد.

اقتربت منها وشرر الغضب يتطاير من عينيك، صفعتها على وجهها بقسوة وعنف ثم صرخت فيها:

ـ أنت طالق .. طالق.

ومن يومها جفت الأقلام، وطويت الصحف، تركت لها البيت بما فيه.

ماذا ينقصها وقد كانت ترفل في النعيم؟ ماذا ينقصها حتى ترتكب فعلتها النكراء؟ لذت هائمًا على وجهك، وفي كل مكان تحل فيه كان يصفعك الأقارب والأصدقاء بالسؤال المتكرر كلما رأوك:

ـ لماذا طلقت زوجتك يا أحمد؟

على الشاطئ كان أحمد يقتل نهاره، طائر النورس يعود يحوم من جديد، يكرر المحاولة ما يلبث أن ينقض على إحدى الأسماك يرتفع بها، وهي في منقاره، يفوز بها هذه المرة ويرحل بعيدًا.

نهضت من على الصخرة وقد أيقظك طائر النورس من سباتك العميق.

كانت الشمس قد سقطت في البحر، تزاحمت الأفكار لأول مرة في رأسك .. أحسست أنك في حاجة إلى القلم .. إلى الكتابة.

طفقت مهرولًا نحو قريتك الغافية في أحضان الجبل، لتكتب قصة قصيرة، عن طائر النورس بعد انقطاع طويل عن الكتابة ..